Arü İlahiyat Araştırmaları Dergisi

Aru Journal Of Theological Studies

31/2025/ديسمبر

قراءة في قصّة "المعطف" لغوغول وقاسم توفيق من منظور النقد الماركسي –دراسة مقارنة–

A Reading of the Story “The Overcoat” by Gogol and Qasim Tawfiq from a Marxist Critical Perspective - A Comparative Study-

Selma Durmaz

عيار المؤلف: طالب دكتوراه، جامعة معهد العلوم الاجتماعية كلية: الإلهيات. قسم: اللغة العربية وبلاغتها. فان/تركيا

رقم الأركيد: 0009-0002-0032-9095 **بريد إلكتروني:** selmacimo@hotmail.com

المعلومات للمقالة

نوع المقالة: المقالة البحثية

تاريخ الوارد: 29.10.2025

تاريخ القبول : 27.12.2025

تاريخ النشر: 31.12.2025

Plagiarism/انتحال

This article has been reviewed by at least two referees and confirmed to be free of plagiarism/ دققت هذه المقالة عن الخبرين على الأقل ويأكد أنّ هذه المقالة لا تحتوى السرقة العلمية

Copyright:

Authors own the copyright of the works published in the journal and their works are licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0.

It is published under International License (CC BY NC).

Ethics Statement:

It is declared that scientific and ethical principles were followed during the preparation of this study and that all studies used are stated in the bibliography.

Web Address:

arüilahiyataraştırmalarıdergisi.com

قراءة في قصّة "المعطف" لغوغول وقاسم توفيق من منظور النقد الماركسي –دراسة مقارنة–

ملخص

إن النقد الأدبي هو النقاش الفلسفي للنصوص الأدبية، وهو منهج يقوم على وسائل وأدوات مختلفة في محاولة لفهم النص الأدبي والغوص فيما وراءه. وللنقد مدارس عدّة كلٌّ حسب الفكرة والفلسفة التي تتبنّاها في قراءتها للنصوص الأدبية. ويُعتبر النقد الماركسي للأدب إحدى هذه المدارس التي عملت على قراءة الأعمال الأدبية من منظار التيار الماركسي. حيث يرى النقد الماركسي أنه يجب قراءة الأعمال الأدبية من منطلق أنها انعكاس للمؤسسات الاجتماعية التي نشأت منها. أي أن النقد الماركسي يهدف إلى التركيز على العلاقة التي تربط بين الأدب والبُنى الاجتماعية الاقتصادية لمجتمع ما والصراعات فيما بينها، فهو يبحث في آلية تجسيد الأعمال الفنيّة أو الأدبية لهذه الصراعات، والأدب بالنسبة لهذا التيار ليس ظاهرة مستقلة منفردة بذاتها؛ بل جزء من البنية المجتمعيّة، أي إن العمل الأدبي وسيلة وأداة للنهوض بالمجتمع وإبراز الحالات الطبقية في مجتمع واحد. ولأن القصة نوع أدبي يُكتب ليعكس واقعاً معيناً لنفسية الفرد الذي هو ابن المجتمع، ولأنها أكثر قدرة على نقل الحدث بشكل مكثّف ومختصر، فقد كانت جنساً أدبياً جذّاباً لأنصار النقد الماركسي. وفي هذا المقال سيتم قراءة قصة " المعطف" للكاتب الأردني "قاسم توفيق"، وقصة الكاتب الروسي "غوغول" الذي يحمل نفس الاسم "المعطف"،". حيث تُعتبر قصة المعطف للكاتبين مثالاً بارزاً يمكن تناولهما بعمق من منظور النقد الماركسي، نظراً لتناولهما لمواضيع مثل الفقر، والتهميش، والبحث عن المساواة في المجتمعات التي تشيع فيها الطبقيّة. وسيبدأ المقال ببحث موجز عن مفهوم النقد، ثم يبحث في النقد الماركسي. بعد ذلك سيتم قراءة القصتين من وجهة نظر النقد الماركسي، حيث سيتمّ القيام بالمقارنة بين القصتين من ناحية المشاكل الاجتماعية التي تطرّقت لها، وكيفية تناولهما للواقع الاجتماعي، واللغة والأسلوب المستخدم في كلتيهما.

الكلمات المفتاحية: الأدب، النقد الماركسي، الطبقيّة الاجتماعية، المساواة، المعطف، غوغول، قاسم توفيق.

Marksist Eleştiri Perspektifinden Gogol ve Kasım Tevfik'in Palto Adlı Öykülerini Yeniden Okumak -Karşılaştırmalı Bir Çalışma-

Öz

Edebî eleştirî, edebî eserlerin felsefî tartışması olup edebî metni anlamak ve metnin ötesine geçmek için çeşitli araçlar ve yöntemler kullanan bir çalışma yöntemidir. Edebî eleştirinin metni okuma felsefesine ve fikrine bağlı olan çeşitli okulları vardır. Marksist edebiyat eleştirisi, edebî eserleri Marksist akımın perspektifinden okuma çalışmaları yürüten bu okullardan biri olarak kabul edilir. Nitekim Marksist eleştiri, edebî eserlerin, ortaya çıktıkları toplumsal kurumların bir yansıması olarak okunması gerektiğine düşünür. Bu açıdan bakıldığında denilebilir ki edebî eser, toplumu geliştirme ve aynı toplum içindeki sınıfsal durumları ortaya koymak için bir araç ve yöntemdir. Hikâye, toplumun bir parçası olan bireyin ruh halini yansıtmak için yazılan edebî bir tür olduğundan ayrıca olayları yoğun ve öz bir şekilde aktarma gücüne sahip olmasından dolayı, Marksist eleştirinin savunucuları için çekici bir edebi tür olmuştur. Bu makalede, Rus yazar Gogol'un "Palto" adlı eseri ile Ürdünlü yazar Kasım Tevfik'in aynı adı taşıyan hikâyesi karşılaştırmalı bir yöntem ile ele alınacaktır. Makaleye eleştiri kavramı üzerine kısa bir inceleme ile başlanacak, ardından Marksist eleştiri, tarihçesi, ortaya çıkma sebepleri ve önemli savunucuları hakkında detaylı bilgiler verilmeye çalışılacaktır. Daha sonra, iki hikâye Marksist eleştiri açısından okunacaktır; hikâyelerde ele alınan sosyal sorunlar, toplumsal gerçekliği ele alış şekilleri ve her iki hikâyede kullanılan dil ve üslup karşılaştırılacaktır. Bu anlamda benzer ve farklı yönleri çeşitli açılardan analiz edilecektir.

Anahtar Kelimeler: Edebiyat, Marksist eleştiri, Sosyal sınıflar, Eşitlik, Gogol, Kasım Tevfik.

Rereading the Stories Titled "The Overcoat" by Gogol and Qasim Tawfiq from a Marxist Critical Perspective -A Comparative Study-

Abstract

Literary criticism is the philosophical discussion of literary works and a field of study that uses various tools and methods to understand the literary text and go beyond it. There are different schools of literary criticism, each depending on a specific philosophy and idea of reading the text. Marxist literary criticism is one of these schools, which studies literary works from the perspective of Marxist thought. It argues that literary works should be read as reflections of the social institutions in which they emerge. From this perspective, literature becomes a tool for developing society and revealing class conditions within the same society. Since the short story is a literary

genre written to reflect the state of mind of the individual as a part of society, and because it has the power to convey events in a concise and concentrated way, it has been attractive to the advocates of Marxist criticism. In this article, the story *The Overcoat* by the Russian writer Gogol and the story bearing the same title by the Jordanian writer Qasim Tawfiq will be examined through a comparative approach. The article begins with a brief study of the concept of criticism, and then provides detailed information about Marxist criticism, its history, the reasons for its emergence, and its main proponents. Afterwards, the two stories are read from the perspective of Marxist criticism; the social problems addressed in the stories, their ways of dealing with social reality, and the language and style used in both will be compared. In this sense, their similarities and differences will be analyzed from various angles.

Keywords: Literature, Marxist criticism, social classes, equality, Gogol, Qasim Tawfiq.

مقدمة

يعود الاهتمام بالعلاقة الثنائيّة بين الأدب والمجتمع إلى تاريخ يسبق نشأة علم الاجتماع. فعلم الاجتماع والأدب نسقان من أنساق المعرفة إلا أنهما مختلفان[1]. إلاّ أنّ هناك عاملاً مشتركاً يجمع بين هذين المفهومين، والتركيزُ على علاقة الأدب بالمجتمع من الطرفين تعني إقامة صلات مشتركة بينهما. ويتفقُ الباحثون في علم الاجتماع على أنَّ بدايات الاهتمام الحقيقيّ للعلاقة بين الأدب والمجتمع ترجع إلى الفيلسوف الفرنسي "تين" الذي عاش في القرن التاسع عشر[2]، والذي نظر إلى الأدب بوصفه مرآةً للمجتمع، فالبيئة الاجتماعية وبُنيتها لها تأثير كبير على أعمال الأديب، وجعله عند نقطة معينة صوت ضمير عصره، باعتباره منهجاً يتناول الحياة الاجتماعية ويدرسها بشكل خاص من جميع نواحيها، فهو ينطلق من الواقع مباشرة لأنه المنبع الرئيسي في الدارسة الأدبية حسب هذا المنهج. ولأن النقد الماركسي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوسط الاجتماعي، فالأديب من خلال أعماله ما هو إلا مصورٌ لِتَجربته انطلاقاً من البيئة التي يعيش فيها وما تحكمها من ظروف وأحداث، لأنه مرجعه الوحيد في أعماله الإبداعية، فالأديب اِبن بيئته. وللنقد الماركسي فضل كبير وإضافات عظيمة في تطور الأدب على العموم، والجانب النقدي منه على الخصوص، لذا سيتم تخصيصه بالدارسة بهدف التعمّق فيه ومعرفته بصورة أكثر أوسع وأكثر دقّة.

وتجدر الإشارة إلى أن المقارنة بين النتاجات الأدبية ظاهرة خرجت إلى النور كحاجة وضرورة بسبب التشابه بين هذه النتاجات في الأسلوب، أو الفكرة، أو الأحداث، وبما أن القصة القصيرة نوع أدبي غني بالعناصر التي نستطيع الاستفادة منها على عدّة مستويات، كما يمكن تناولها بالشرح والنقد من خلال العناصر التي تحتويها، فقد كانت قصة " المعطف لكل من المؤلفين "غوغول، وقاسم توفيق" مادة غنية لتحليلها ونقدها وفق المنهج الماركسي. وسيتم دراستهما دراسة مقارنة من خلال التركيز على الموضوعات التي تناولتها، واللغة المستخدمة، والأسلوب، والبحث عن نقاط الاختلاف والتوافق في كلتا القصتين. ويأتي اختيار هذا الموضوع لندرة الدراسات التي تقارن بين قصتي "المعطف "للكاتبين معاً، أما الدراسات التي تمّ التوصّل إليها، فهي تقتصر على مقالة أكاديمية بعنوان " Kasım Tevfik'in Palto Adlı Kısa Öyküsünde Toplumsal Gerçekçilik"، يتناول قصة "المعطف" للكاتب قاسم توفيق فقط. وأيضاً رسالة ماجستير منشورة تحت عنوان" Rus Gerçekçiliği Bağlamında. N.V. Goglv.G. Perov Etkileşimi. وتتناول هذه الرسالة النقد الواقعي في الفن الروسي من خلال مقارنةٍ بين رسّامٍ وكاتبٍ روسي وهو "غوغول ."وقد خُصِّصت فيها فقرةٌ للحديث عن قصة "المعطف "بوصفها نموذجاً بارزاً للأدب الواقعي.

والرسالة تتناول النقد الواقعي في الفن الروسي في مقارنة بين رسام وكاتب روسي وهو "غوغول"، يتحدّث في فقرة منها عن قصة "المعطف" وكونها نموذجًا للأدب الواقعي. والدراستان تختلفان عن الدراسة التي نحن بصدد كتابتها من ناحية المنهج وهو النقد الماركسي، بدراستهما دراسة مقارنة.

[1] محمد سعيد فرح. *علم اجتماع الأدب*، (الأردن: دار المسيرة للتوزيع والطباعة، 2009)، 83.

[2] فرح. علم اجتماع الأدب، 84.

1. النقد الماركسي

النقد الماركسي هو المنهج الذي ينطلق في مجمل دارساته من منظور يندرج تحت العلاقة التي تربط الأدب والمجتمع ببعضهما. فالأدب ما هو إلا تعبير عن المجتمع (الواقع الاجتماعي). أي أن وجود الأدب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود محيط منبثق منه، فالأديب يعبر عن كل ما يدور في مجتمعه من أحداث، وعادات وتقاليد، وحتى تجاربه العاطفية وأحاسيسه مستمدة من بيئته، فالكاتب ابن بيئته. ولأن المجتمع ما هو إلا بناء يحتاج إلى دعائم أساسية، لذا يحتاج للأديب كي يصف ويصوّر هذه الركائز وكذلك يحتاج هو الآخر لوجود المجتمع كي يستمد منه مواد أعماله الأدبية، إذاً فالعلاقة بينهما علاقة تكاملية فكل منهما يكمل الآخر بطبيعته.

والنقد الماركسي منهج يندرج ضمن المناهج المرتبطة بالسياق؛ أي المناهج النقدية الخارجية التي تهتم بدراسة الظواهر الخارجية (كالبيئة، الوسط)، "فثنائية الأدب والمجتمع تشكل مجال اهتمام الدراسات وموضوعاً مهماً جداً لفهم وتفسير وكذلك دراسة الأعمال الأدبية دراسة صحيحة وشاملة"[3]. فهو كالمنهج التاريخي الذي يتعامل مع المحيط. حيث أنه ليس من السهولة الفصل بين المنهج الاجتماعي والمنهج التاريخي في دراسة الأدب، بل إن كثيراً من الباحثين لا يفصلان بينهما، فهما يعنيان ارتباط الأدب والأديب بالحياة في وجوهها كافة.[4] أي هو وعي أدبي سرعان ما تحول إلى وعي اجتماعي يرتبط بطبيعة الطبقات المتعددة للمجتمع، وكذلك يرتبط بفكرة تمثيل الأدب للحياة على المستوى الجماعي، وليس على المستوى الفردي[5].

إذاً ينطلق النقد الماركسي من النظرية التي تنادي بأنّ الأدب ظاهرة اجتماعية وأنّ الأديب لا ينتج أدباً لنفسه وإنّما ينتجه لمجتمعه منذ اللحظة التي يقرر فيها الكتابة، وفي أثناء ممارسته لها، وبعد الانتهاء منها. فالقارئ حاضر في ذهن الأديب وهو وسيلته وغايته في آن واحد[6]. ويرى بعض النقاد المعاصرين أنّ نشأة النقد الماركسي ارتبطت بظهور الفلسفات الواقعية، ودعوتها إلى اتجاه الفن نحو الواقع الاجتماعي بنوع خاص[7]. ومن أشهر أعلام هذا المنهج ومنظريه، "ماركس، وانجلز"، إضافة إلى المجريّ: "جورج لوكاتش" الذي يرى أنّ الأدب يعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي[8]. غير أنّ جذور النقد الاجتماعي في روسيا ترجع إلى زمن أبعد من "بليخانوف" و "لينين"، فقد ظهر منذ عام 1834 على يد "بيلينكس" ثم " تشير فيسكي و "دوبرو ليبوف" ما يسمى بالنقد الثوري الديموقراطي الذي يؤمن بالدور الاجتماعي للفن، كان هذا الاتجاه مختلف عن الاتجاه الواقعي الانتقادي، فكان مفيد بوجهة نظر مجتمع برجوازي إقطاعي[9]. أمّا في العالم العربي، فيُعدّ محمود أمين العالم، ومحمد مندور، ولويس عوض من أبرز أعلام هذا المنهج.

2. الأدب المقارن

الأدب المقارن هو العلم الذي يدرس نقاط التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، وترابطاتها الكثيرة والمعقدة في حاضرها وماضيها، وما لهذه الترابطات من تأثير وتأثّر أياً كانت تجليات ذلك التأثير والتأثر، سواء أكانت مرتبطة بالأصول الفنية أو بطبيعة الموضوعات، أو كانت خاصة بصورة البلدان المختلفة كما نرى في آداب الأمم الأخرى[10]. والحد الفاصل بين الآداب بشكل أساسي هو عنصر اللغة، فالكاتب أو الشاعر أو الروائي يُصنَّف أدبُه وفق اللغة التي يكتب بها؛ فمن يكتب بالإنجليزية يُعتبر أدبه إنجليزياً، ومن يكتب

[3] ياسمين عباس. وسارة قادي نارو، *المنهج الإجتماعي عند صلاح فضل*، (الجزائر: جامعة البويرة، رسالة ماجستير منشورة، 2022)، 11.

[4] وليد قصاب. *مناهج النقد الأدبي الحديث*، (دمشق: دار الفكر العربي، 2007)، 36.

[5] صلاح فضل. *مناهج النقد المعاصر*، (القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، 2002)، 46.

[6] صالح هويدي. *النقد الأدبي الحديث، قضاياه ومناهجه*، (ليبيا: منشو ا رت جامعة السابع من أبريل، 2005)، 95.

[7] عثمان موافي. *مناهج النقد الأدبي والدارسات الأدبية*، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008)، 75.

[8] قصاب، *مناهج النقد*، 142.

[9] روبير إسكاربيت. *سوسيولوجيا الأدب*، تر: آمال أنطوان عرموني، (بيروت: منشورات عويدات، 1999)، 40.

[10] مصطفى فاروق عبد العليم. *محاضرات في الأدب المقارن*، (بني سويف: كلية الدراسات الإسلامية والعربية، 2009)، 4.

بالعربية يُعتبر أدبه عربياً، بغض النظر عن أصله العرقي. واللغة وآدابها هي بالضبط موضوع أدب المقارن ومجاله من حيث دراسة التأثر والتأثير فيها. ويمكن أن يُطبَّق على المقارنة بين الأعمال الأدبية من مجالات عدّة، كالمقارنة اللغوية، والاجتماعية والنفسية.

وهناك رأيان مختلفان سائدان بشكل عام في دراسات الأدب المقارن. فوفقاً لأنصار وجهة النظر الأولى، إن دراسات الأدب المقارن يجب أن تجري على مواضيع، أو أنواع، أو صور، أو مؤلفين ينتمون إلى لغتين وثقافتين مختلفتين. ووفقاً للرأي آخر، يمكن أيضاً إجراء دراسات الأدب المقارن داخل الحدود الوطنية[11]. أي أن أدب المقارن له شروط وأدوات يجب أن تُؤخذ في الاعتبار عند تطبيقها على أي مادة أدبية للوصول إلى النتائج المرجوة منها. كما أنه يُعتبر وسيلة ناجعة لإظهار أوجه الشبه والاختلاف بين المواد الأدبية، وطريقة فعّالة لإغناء مجال النقد الأدبي ودفعها إلى التطور.

3. ملخص قصة "المعطف" للكاتب الروسي نيكولاي غوغول وقاسم توفيق

تُعد قصة "المعطف" واحدة من أبرز القصص القصيرة في الأدب الروسي، كتبها "نيكولاي غوغول"، ونُشرت عام 1842، والطبعة العربية منها جاءت تحت عنوان "المعطف والأنف"، صادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر. القسم الأول بعنوان "المعطف" يتألف من خمسة فصول وتقع في تسع وتسعين صفحة. وتعتبر القصة من أهم الأعمال التي أسست للواقعية النقدية في الأدب، حيث تلقي الضوء على المعاناة الاجتماعية والتفاوت الطبقي من خلال شخصية نمطية تعيش حياة قاسية وغير عادلة. وتدور حول البطل "أكاكي أكاكيفيتش"، وهو موظف حكومي عادي يعمل نسّاخاً للوثائق في إحدى الدوائر الحكومية في مدينة سانت بطرسبرغ.

كان "أكاكي" يرتدي معطفاً مهترئاً، إلا أنه لم يكن يمتلك المال الكافي لشراء واحد جديد. لكنه قرر أخيراً شراء معطف آخر. استعان بالخياط "بتروفيتش"، الذي نصحه بخياطة معطف جديد بدلاً من إصلاح القديم، الأمر الذي أجبر "أكاكي" على توفير المال بصعوبة عن طريق حرمان نفسه من أبسط الاحتياجات لتوفير ثمن المعطف الجديد. وعندما حصل في النهاية على المعطف الجديد، أحس البطل بسعادة لم يعهدها من قبل، ولأول مرة في حياته، حظي بتقدير زملائه في العمل الذين مدحوا مظهره الجديد، بل دعوه إلى الحفلة احتفالاً بالمعطف. إلا أنه أثناء عودته إلى المنزل، تعرض لسرقة معطفه من قبل اللصوص.

يذهب "أكاكي" إلى الشرطة في محاولة لاستعادة معطفه، لكنهم يسخرون منه ولا يقدمون له أية مساعدة. هذا الاستهزاء لكارثة البطل يؤدي به إلى تدهور حالته النفسية والصحية، ولا يمضي وقت طويل حتى يُصاب بالحمى ويموت وحيداً. وبعد وفاته تظهر شائعات في المدينة عن شبح غامض يطارد الناس ويقوم بسرقة معاطفهم. ويُقال إن هذا الشبح هو "أكاكي أكاكيفيتش" نفسه، الذي عاد من العالم الآخر للانتقام من الظلم الذي تعرض له. ويمكن القول بأن قصة "المعطف" أثّرت في العديد من الكتّاب الروس والعالميّن، مثل "ديستوفسكي وتولستوي"، الذين تأثروا بتصوير "غوغول" الواقعي للحياة الاجتماعية. وجاءت مقولة "ديستوفسكي" المشهورة لتؤكد صحة هذه النظرية عندما قال عبارته المشهورة: "كلنا خرجنا من معطف غوغول".

أما قصة "المعطف" عند قاسم توفيق، فهي إحدى قصص الكاتب التي طبعها ضمن مجموعته القصصية "لسان الراوي"، وتقع في مائة وعشر صفحات، وهي قصة في صفحتين جاءت بأسلوب ما بعد حداثي، أي مختصرة على عكس قصة "غوغول". تدور أحداث القصة حول الطالب الأردني الشاب الذي التحق بالجامعة حديثاً، وهو ابن طبقة فقيرة بلا أب، تعيله أمّه التي تدفع إليه بعدّة دنانير لكي

[11] Merve Menteşe, "Karşılaştırmalı Edebiyat Örneği Olarak Hayali Bey ile Nedim'in Birer Gazeli Üzerine İnceleme". *Asos Journal (The Journal of Academic Social Science)* 1/10 (2020), 2-3.

يشتري بها معطفاً شتوياً يقيه برد الشتاء، لكن وبالرغم من كون الأم قد جمعت لعدّة أشهر جزءاً من راتبها لأجل المعطف إلا أنهما في النهاية يتمكّنان من شراء معطف مستعمل. وتجدر الإشارة إلى أن التحليل المقارن سيتمّ لاحقاً بشكل مفصل أكثر.

1.3. تحليل نص "المعطف" ل"غوغول" وفق منهج الماركسي

1.1.3. الطبقيّة والظلم الاجتماعي

الأدب هو دراسة للحياة ووصف ونقد لها من جميع النواحي؛ لذلك كانت القاعدة الوحيدة للأدب هي أنّ يطابق الحياة المثلى ويصورها[12]. وقد حرص "باختين" على ضرورة تجسيد الأدب وتحديده لجوانب الصراعات الطبقية في المجتمع الواحد، كما يرى بأنه يجب على الأديب أنّ يقوم بنقل وتصوير لجميع الفئات في المجتمع باختلاف طبقاتها وخاصة الطبقة العاملة التي غالباً ما تكون مضطهدة[13]. وفي القصة، يظهر الفقر كموضوع رئيسي، حيث يعيش "أكاكي" في عزلة وبؤس، غير قادر حتى على شراء معطف جديد. في المقابل نجد طبقة المسؤولين الممثلين للطبقة العليا يتجاهلون معاناة الفقراء ويتعاملون معهم بازدراء. حيث تعكس القصة الهوة بين الفقراء والأغنياء في المجتمع الروسي القيصري، كما يُعامل الفقراء بدونية ويتم تجاهل معاناتهم بشكل كليّ ومقصود. وتكون الصورة واضحة في مدى اتساع الهوة بين الطبقات الاجتماعية، وهي حالة من الانفصال المجتمعي، أو الانفصال في النسيج الاجتماعي بين أبناء البيئة الواحدة.

2.1.3. البيروقراطية والحرمان

كُتبت القصة في القرن التاسع عشر، عندما كانت روسيا تعاني من نظام بيروقراطي متصلب، يُكرّس الطبقية ويهمّش الفقراء، ويقوم "غوغول" فيها بعكس النظام الإداري الروسيّ وكيف أنه غير مبالٍ بمعاناة شعبه، حيث لم يقدم أي مساعدة لمواطنه "أكاكي" رغم حاجته الملحة. عاش "أكاكي" منعزلاً وفقيراً، ولم يكن لديه أصدقاء أو أسرة تدعمه، مما جعله رمزاً للإنسان المنسي في المجتمع. ف"المعطف" ليست مجرد قصة عن رجل فقير يفقد معطفه، بل هي صرخة احتجاج ورفض ضد الظلم الاجتماعي والبيروقراطية. وما "أكاكي" سوى رمز يمثل الإنسان البسيط المسحوق مجتمعياً دون أن يشعر به أحد. لهذا لا تزال القصة تُقرأ حتى اليوم باعتبارها من أهم الأعمال الأدبية الواقعية الإنسانية.

3.1.3. المعطف رمزيةٌ للكرامة والهوية

لم يكن المعطف مجرد لباس، بل كان يمثل كرامة "أكاكي" المواطن وفرصته الوحيدة كي يشعر بالانتماء، وعند فقده فقد الأمل في أن يعيش بكرامة في ظل نظام سياسي لم يلبِ طموحاته النفسية الاجتماعية؛ ذلك أن الشعور بالانتماء، والاحساس بالأمان تحت قبة دولة تحترم الإنسان كفرد هو حاجة ضرورية كي يعيش الإنسان سليماً نفسياً، وأي خلل في هذا الاحتياج يؤدي إلى تخلخل في النظام النفسي لدى الفرد، وهو ما حدث مع "أكاكي" عندما فقد هذا الشعور ومات من قهره.

لكن بعد وفاة بطل القصة، يظهر "شبح المعطف"، الذي يبدأ بسرقة معاطف الأغنياء، في رمزية للانتقام، أو ثورة الفقراء والعمال في وجه الطبقية، ومحاولة لإرساء العدالة سعيًا لاستعادة الكرامة المسلوبة. وتُعدُّ هذه النهاية أحدَ رسائل الأدب الثوري التي تحضُّ على تغيير النظام الاجتماعي .وبذلك، يكون غوغول قد حقق –من منظور النقد الماركسي –أحدَ أهداف الأدب الجوهريّة.

[12] سلامة موسى. *في الحياة والأدب*، (القاهرة: مؤسسة الهنداوي، 1930)، 112.

[13] داوود غطاشة. *قضايا النقد العربي*، قديمها وحديثها، (عمان: الأردن الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، 2000)، 35.

إذاً، وفقاً للنقد الماركسي، يعدّ "المعطف" صرخة احتجاج ضد الظلم الاجتماعي، حيث تُظهر كيف أن الفقراء ليس لديهم حتى الحق في الحلم بحياة أفضل. والنهاية تحمل بعداً رمزيّاً، حيث يتحول "أكاكي" من شخصيّة هامشيّة إلى قوة خارقة (شبح ينتقم)، في إشارة إلى أن الظلم لا يمكن أن يُقبل بسهولة. فالقصة تُمثل نقداً قويّاً للمجتمع الطبقي والبيروقراطية القاسية، حيث يتم سحق الفقراء دون أي اعتبار لمعاناتهم.

4.1.3. تحليل نص "المعطف" لقاسم توفيق وفق منهج النقد الماركسي

يعتمد النقد الماركسي على تناول النصوص الأدبية في سياقها الاجتماعي، وتحليل كيفية تجسيد تلك النصوص للمشكلات الطبقية، والاقتصادية، والسياسية. وهذا ما يؤكد عليه الناقد سلامة موسى على أنّ الأدب للشعب[14]. وفي قصة " المعطف"، للكاتب الأردني الفلسطينيّ الأصل، المتفرّغ للكتابة الأدبية النثرية[15]، يقدم الكاتب تصويراً واقعياً للحياة الجامعية في الأردن من خلال عكس حالة الفقر عند البطل ومقارنته مع طبقة الأغنياء من الطلاب الآخرين، أي حالة المعاناة من التفاوت الطبقي[16]، وكيف أنه يحاول التأقلم مع بيئة جديدة مختلفة تمامًا عن بيئته الأصليّة. وهي إحدى قصص الكاتب التي طبعها ضمن مجموعته القصصية "لسان الراوي"، وتقع في مائة وعشر صفحات، وهي قصة في صفحتين جاءت بأسلوب ما بعد حداثي.

وبما أن الأدب يشارك في تحقيق مبدأ التواصل مع المنظومة الحياتية ككل متكامل، ويعمل جاهداً على إبراز مكامن الخلل والأخطاء في حياة البشر كظاهرة اجتماعية، بالإضافة إلى إظهار الجوانب الإيجابية في حضور الفعلي الإنساني في حياتهم[17]. وهو ما قام به قاسم توفيق في قصته القصيرة " المعطف" عندما اتخذ من الأدب وفعل الكتابة وسيلة لعكس الحالة الاجتماعية لمجتمعه، وعمل على تصوير أفعال البشر في تلك البقعة المكانية/ الاجتماعية كظاهرة فاعلة ومفعول بها، تتأثر وتؤثر في محيطها الاجتماعي في حالة من التفاعل الديالكتيكي. ومن أبرز النقاط التي يمكن التوقف عندها ودراستها من منظور النقد الماركسي هي:

أ. الفقر كخلفية أساسية للنص

يبدأ النص بوصف البيئة الجامعية وظروف الطلاب القادمين خلفياتٍ طبقيةٍ مختلفة، فيُبرِز التباينَ بين فقراء الطلاب وأبناء النخبة عبر تفاصيل يوميةٍ دالة. مثلاً يتكرر الحديث عن الطعام في النص، حيث يشير إلى بساطة ما يأكله الطلاب الفقراء مقارنة بغيرهم. فالطعام هنا يرمز إلى الفقر والحرمان، وإلى انعدام الخيارات أمام الطبقات الكادحة، مما يعكس الفجوة الاقتصادية العميقة بين الطلاب داخل نفس المؤسسة التعليمية. فالكاتب يتحدّث عن وجبة الطعام الفقيرة المكونة من رغيف خبز، وجبنة بلا علامة تجارية، أو عن الفلافل الذي يوضّح الواقع الاقتصادي الصعب الذي يعيشه بعض الطلاب.

ب. العلاقة بين التعليم والطبقة الاجتماعية

يأخذ بنا الكاتب إلى الجامعة الأردنية ويُصور لنا كيف أن الدخول إلى الجامعة كان حلماً للطلاب القادمين من الأرياف والبوادي، حيث تمثل فرصة نادرة للارتقاء الاجتماعي – الطبقي، لكنها في الوقت نفسه فضاء يعزز الفروقات الاجتماعية ويُظهرها للعلن

[14] عبد المنعم خفاجي. *مدارس النقد الأدبي الحديث*، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1990)، 207.

[15] مراد كافي. *النموذج الذكوري في روايات قاسم توفيق*، (وان: جامعة يوزونجيل، رسالة دكتوراه غير منشورة، 2021)، 29.

[16] Mehmet Şirin Çıkar- Murad Kâfi, "Kasım Tevfik'in Palto Adlı Kısa Öyküsünde Toplumsal Gerçekçilik", *Sosyal Araştırmalar Dergisi* 4/3 (2018), 5.

[17] قصي الحسين. *سوسيولوجية الأدب، دارسة الواقعة الأدبية على ضوء علم الاجتماع*، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر، 1993)، 117.

بشكل أكثر وضوحة وقسوة. يظهر ذلك في إشاراته إلى الطلاب المنتمين إلى الطبقات الميسورة، مثل أبناء الوزراء، الذين يتمتعون بامتيازات لا يحظى بها غيرهم، وبطل القصة بصفته على الجهة المقابلة لهذه الفئة، وهو الممثل للطبقة الفقيرة الكادحة. وهو أسلوب شائع في الكتابات الأدبية الواقعيّة، حيث يكون البطل أو الرواي هو المناضل الكادح المنتمي للطبقة الأدنى، وربما السبب في هذا الأسلوب هو نجاحه في استجرار عاطفة القارئ وجعله متفاعلًا مع النص أو الكاتب، وهذا النجاح على جذب القارئ إلى صف البطل أو الكاتب علامة على نجاح الكاتب في الوصول إلى عاطفة القارئ وأفكاره، مما يخلق تأثيراً جماعيّاً في الوعي الفردي فيما بعد. وهذا تشكيل للوعي الفردي وحثّه على الثورة هو من أهداف الأدب بحسب النقد الماركسي.

ج . التفاوت الطبقي والصراع الاجتماعي

إن حقيقة المشكلة التي يتوهَّمها المرءُ في نفسه ما هي إلا انعكاس ذاته في المجتمع الذي يعيش فيه أو انعكاس المجتمع في ذاته[18]. أي أنّ الكاتب يؤثر ويتأثر بمحيطه. فإما أن يضيف الكاتب على محيطه شيئاً، وإما أن يضيف المحيط على شخصيته، ومشاعره، ونمط أفكاره. والعملية التفاعلية هذه لا تكون دائماً موجبة، فربما يأخذ الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه المؤلف الكثير منه على الصعيد المادي أو المعنوي. فعلى سبيل المثال، قد تكون الحالة المجتمعية سالبة لدرجة تأخذ منه كرامته، وأمله بالغد الأفضل، وتُضيق عليه حريته، أو تجعله على النقيض من طبقة أخرى أكثر امتيازاً؛ ليعكس ذلك على أسلوبه في الكتابة فينتج أدباً ثورياً يكون أداةً للتغيير .وتعد الثورة الفرنسية نموذجاً بارزاً لدور أفكار الفلاسفة والأدباء في إيقاظ الوعي وتحريض المجتمع على التمرد والثورة.

بالعودة إلى قصة " المعطف" يعد الصراع الطبقي أحد المحاور الرئيسية في النص، حيث يعيش البطل حالة من التناقض بين محاولة الاندماج في المجتمع الجامعي من خلال شراء "معطف" جديد وأنيق، وبين واقع الفقر الذي يحاصره. يظهر هذا الصراع من خلال عمل مقارنة بين القرى والمدن. إذ يرسم لنا الكاتب الاختلافات الكبيرة بين الطلاب القادمين من القرى والبادية وأولئك الذين نشأوا في المدن الكبيرة. فالطلاب القادمون من المناطق الفقيرة يحملون معهم عاداتهم وأحلامهم، كما يعكس كثيراً هويتهم المكانية من خلال وصفه لطريقة أكلهم ولبسهم، إلا أنهم يعيشون حالة من الصدمة واللا انتماء عندما يواجهون الواقع المختلف للحياة الجامعية، حيث تكون العلاقات الاجتماعية قائمة على النفوذ والمال، كما يمكن ملاحظة أبناء الطبقة الغنية من خلال لباسهم.

لا يمكن عزل المشكلة الفردية عن الواقع الاجتماعي أو عن حدود الزمان والمكان، وتغدو المشكلة في نفس الأديب رمزاً للمشكلة في ضمير الإنسانية[19]. نرى ذلك متجلّياً في نفسية البطل الذي يعيش حالة من الاغتراب الاجتماعي، حيث يجد نفسه في بيئة جديدة تختلف عن بيئته الأصلية في حارته المتواضعة الفقيرة التي تنفصل عن الجامعة كونها في مكان أبعد وأكثر ارتفاعاً على هضبة مطلة على المدينة. تحمل جغرافيا المكان دلالة طبقية واضحة، فالجامعة تحتل موقعاً مرتفعاً يطل على المدينة، بينما تقع الأحياء الفقيرة في أسفل الوادي، مما يعكس رمزياً علاقة القوة والتفوق الاجتماعي، فالفقراء أدنى مرتبة في مكان ناءٍ . مهمّش . أما الجامعة رمز الغنى والتحضّر أعلى من حيث المكان والمكانة.

[18] رينيه ويلك. *نظرية الأدب*، تر: محي الدين صبحي، (بيروت: المؤسسة العربية للدارسة والنشر، 1948)، 98.

[19] إيليا الحاوي. *في النقد والأدب*، (بيروت: دار الكتاب، 1979)، 89.

إن الإنسان في بيئته خاضع لأوضاع حتمية، هي التي تتحكم في أدبه وأدب تلك البيئة، لأن انتماء الفرد إلى جماعة عائلية يكون حاضر عند كل طلب من هذه الجماعة[20]. وهذا ما يؤكّد لنا أن في أعماق الأزمات الفردية قضايا، أو انتهاكات اجتماعية كما أن في الأزمات الاجتماعية ملتقى للأزمات الفردية، لأن المشكلات الفردية لا تطفو على السطح من العبث أو من تلقاء نفسها، بل تكون نتيجة احتكاك الفرد بمحيطه وتأثره بها وتأثيره عليه.

هكذا نرى أن "المعطف" قد جسّد دوره الرمزيّ في النص، حيث مثّل أكثر من مجرد كونه قطعة ملابس، بل هو رمز للطبقة الاجتماعية الكادحة والمنتمية بطبيعة الحال إلى الفئة الفقيرة. وهذا الاغتراب النفسي الناتج عن الواقع الاجتماعي نراه متجلّياً عندما يرتدي البطل " المعطف" كي يشعر بالدفء والفخر معاً، إلا أن هذه المشاعر تنهار بمجرد اكتشافه أن الأمر ليس كما كان يعتقد، فحقيقة كونه قد أخطأ في اختيار المعطف، فكرة يحاول الكاتب أن يُوصلها للقارئ، وهي أن البطل يظهر فقره من خلال عدم معرفته وجهله بنوعية المعطف وجنسانيته. فلو كان غنياً لذهب لشرائه من مكان راقٍ ولما أخفق في اختيار جنس المعطف، بحكم أنه صاحب خبرة. هذه المفارقة تعكس كيف أن النظام الطبقي يحدد حتى الأشياء الصغيرة في حياة الإنسان، وأن المظاهر لا يمكنها إخفاء الفروق الاجتماعية العميقة بين أفرادها.

د. الصراع بين المظهر والحقيقة

ومن المشكلات التي عُكست على نص القصة، والتي تُعطي فكرة عن الحالة الفردية التي تعيشها الطبقة الفقيرة، هذه الحالة التي تُعد بمثابة مثال على ما تعيشه قدر كبير لمجتمع البطل. وبطبيعة الحال فإن هذا التصوير للتفاوت بين الطبقتين لم يأتِ من العبث؛ بل نتيجة احتكاك الفرد –البطل مع الطبقة الغنية المتمثلة في الطلبة الأغنياء. فبطل القصة الذي يحاول جاهداً وبشكل واعي ومقصود أن يبدو مثل الطلاب الآخرين، فيذهب لشراء معطف جديد وأنيق، ليواجه به برد الجامعة، ويتبجّح أمام الطبقة الغنية بأنه ليس أقل شأناً منهم. لكنه وفي معمعة حربه الطاحنة هذه، يضطر إلى اللجوء لشراء معطف مستعمل بسبب ظروفه الاقتصادية. لنرى هنا حالة الصدام بين مظهره الاجتماعي الجديد "ارتداء معطف فاخر"، وحقيقته الطبقية، التي تنكشف عندما نقرأ بأنه قام بشراء معطف مستعمل.

هـ استخلاص شامل للنقد الماركسي في النص

إن النص بلا شك انعكاس واقعي لمجتمع يعاني من تفاوت طبقي واضح، حيث يحاول أفراده الفقراء التكيف مع ظروفهم الصعبة، من خلال عملية التماهي مع من هم أعلى مرتبة منهم، أي الأغنياء. ولأن الأعمال الفنية نواتج اجتماعية واضحة لأنها تجسد معتقدات مجتمع الكاتب ورموزه، وتعكس سمات العصر الذي ينتمي إليه[21]، يمكن القول إن الكاتب سعى في ثنايا القصة إلى إبراز معاناة الطبقات الفقيرة داخل المجتمع، والتأكيد على أن النظام الاجتماعي يفرض قيوداً تمنع الفقراء من تجاوز واقعهم بسهولة. فالمعطف في القصة ليس مجرد لباس، بل هو تمثيل رمزي للقهر الاجتماعي الذي يعاني منه الفقراء، ذلك أن الأشياء الصغيرة البسيطة مثل الملابس بإمكانها أن تحدد مكانة الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، وتكون سيفًا إما يقتل صاحبها، أو يكون حلّة يتباهى بها صاحبها وهو يزيّن خصره بها.

رغم الطابع التراجيكوميدي الطاغي على القصة، إلا أنها، وكجميع أنواع الأدب الواقعي، تسلط الضوء على قضية مهمة، وهي أن الفهم الواعي للواقع الطبقي قد يكون الخطوة الأولى نحو تغييره. فمجرد إدراك الفروقات الاجتماعية، ومعاناة الطبقات الفقيرة هو بداية

[20] حلاب نور الهدى. "المنهج الاجتماعي في النقد– نشأته وخصائصه"، *مجلة مركز دراسات الكوفة*، (الجزائر: جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، 3/ 2015)، 2.
[21] جيروم ستولنيتز. *النقد الفني، دارسة جمالية*، تر. فؤاد زكريا، (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2007)، 667.

الطريق نحو إيجاد حلول أكثر عدلاً يُرضي الجميع دون أن يشعر أفراد المجتمع الواحد بالدونية الاجتماعية. إذاً فالنص يقدم رؤية نقدية لواقع المجتمع الأردني خاصة، والعربي والعالمي عامة، من خلال تصوير المعاناة اليومية للفقراء في بيئة أكاديمية ـ الجامعة ـ التي يُفترض أن تكون بيئة عادلة، والقصة من خلال استخدامها لرموز معينة مثل: المعطف، والطعام، والجامعة، يكشف لنا عمق الفروقات الاجتماعية، ليؤكد أن الفقر ليس مجرد نقص مادي، بل هو نظام اجتماعي يحدد مصير الأفراد بطرق خفيّة لكنها فعّالة وواضحة للعيان في الكثير من الأحيان.

النص هو نقد للبنية الاجتماعية التي تفرض تمييزاً طبقيّاً، ويكشف عدم تكافؤ الفرص داخل المجتمع الواحد، حيث الدفء، والكرامة، والاعتراف الاجتماعي متاح فقط لمن يمتلكون القدرات الماديّة. وتمثِّل القصة، وفق المنهج الماركسي، نموذجاً قوياً على التفاوت الطبقي والاقتصادي الذي يحاول أنصار هذا التيار تغيره من خلال سلاح الأدب. كما يظهر كيف أن المحاولات الفردية للهروب من الفقر تصطدم بواقع اجتماعي صارم، مما يجعل الشعور بالانتماء الاجتماعي صعباً، إن لم يكن مستحيلاً.

4. أوجُه الشبه بين القصتين

استطاع الأدب في حِقب تاريخيّة معينة في أن يكون أداة فاعلة لتغيير المجتمع. فالأدب الذي يعمل على عنصري العاطفة والخبرة يكون جديراً بتجسيد المهمة الايديولوجية المنوّطة بها[22]. وفي قصة المعطف يقدّم الكاتبان نقداً واضحاً للبنية الاجتماعية التي تقوم على التمييز الطبقي، حيث يُظهر أن الفقر ليس مجرد مشكلة اقتصادية، بل مشكلة اجتماعية وثقافية تحدد مصير أفراد المجتمع كما يفرض حدوداً غير مرئيّة تمنع الحراك الاجتماعي السهل، ومن النقاط المشتركة بين القصتين:

1.4. التركيز على الفقر وتهميش الطبقة الفقيرة

في كلتا القصتين يكون موضوع الإقصاء، والتهميش الاجتماعي، والفقر كنتيجة مباشرة للأنظمة الطبقية والرأسمالية؛ فالبطلان يعانيان من الفقر المدقع ومن الضغوط المالية تجعلهما محرومين من أبسط وسائل العيش. كما أنهما يكافحان كي ينجحا في جمع ثمن المعطف، أي أنهما ينتميان لنفس الطبقة الاجتماعية ـ الطبقة العاملة الكادحة ـ ففي قصة المعطف لقاسم توفيق نرى تصوير الكاتب للأحياء والمناطق الفقيرة تصويراً يعكس الواقع المعاش من خلال سرد البطل لكلمات مثل "عمان الفقراء، قاع المدينة، القرى، والبادية، وشارع الطلياني"[23]، أيضاً رمزاً للفقر نظراً لما يتم بيعه في هذا الشارع من الملابس والأشياء القديمة المستعملة، والتي يقبل عليها الفقراء كي يسدّوا نقص احتياجاتهم عندما يكون شراء الجديد فوق طاقتهم.

وفي قصة "المعطف" ل"غوغول" فقد حاول الكاتب أن يعكس صورة الفقر وإلغاء الفقراء عندما استهل حكايته باستخدام صيغة المجهول لتجريد الشخصية وهويَّتها الوظيفية :ففي دائرة ما عمِل موظف مدني ما وكأن لسان حال الكاتب يقول بأنه ليس مهمًا تسميّة مكان عمله أو حتى هوية عمله، ليعود ويركّز فقط على شكله الخارجي ويُلصق به أبشع الصفات، " كان قصير القامة، وعلى وجهه آثر حبات جدري، وشعره يميل إلى الحمرة، كما كان ضعيف البصر، أو هكذا بدا. كان ذا صلعة في مقدمة رأسه، وكان كِلا خديه قد تعرض للتجاعيد"[24]. فالصورة التي يحاول أن يحفرها الكاتب في ذهن القارئ هي أن كل فقير يجب أن يكون بشع مريضًا بالضرورة، أو المرض

[22] تيري إنغلتون. *مقدمة في نظرية الأدب*، تر. أحمد حسان، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1991)، 41.

[23] قاسم توفيق. *لسان الروائي*، (عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2023)، 54.

[24] نيكولاي غوغول. *المعطف والأنف*، تر. محمد الخزاعي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2013)، 10.

[24] غوغول. المعطف، 20.

والاعتلال رمز للفقر، ويمكن أن يكون العكس صحيحًا الفقر رمز للمرض. إن العلاقة الموازيّة بين المرض والفقر هو ما يحاول أن يوصله النص للقارئ.

2.4. رمزية المعطف

للمعطف في كلتا القصتين رمزيته التي تجاوزت الماديّة أو صراع فرد داخل المجتمع، أي أنه تجاوز كونه حالةً نفسيةً فرديةً، ليتحول إلى قضيةٍ اجتماعيةٍ جماعيةٍ، ويتحول إلى حالة جمعيّة اجتماعية. هذه الرمزيّة التي أصبحت مساوية أو رديفة للكرامة، والعدل، أو اللا عدل الاجتماعي الذي كان يسود عالم البطلين. فالمعطف هو هجوم وتهكّم ضمني على الحالة الاجتماعية والاقتصاديّة السائدة في عالم القصة، أي أنه هجوم غير مباشر على من كان سبباً في هذه الحالة التي يعيشها البطلان. الحالة السياسية وما فيها من هيمنة الفئة الواحدة على منافذ كل شيء، والاستفادة منها وتوظيفها بما يخدم أهدافهم الخاصة الفرديّة دون أن يُعيروا اهتماماً بأفراد المجتمع هي الرسالة التي كان المعطف يحاول أن يتوجّهه للقارئ من خلال رمزيته.

فمعطف "أكاكي" الرقيق والمهترئ كان كنزه الذي يدفئه لسنوات طويلة إلا أنه لم يعد بإمكانه مزاولة عمله باحتراف بسبب تآكله، وقد كان محط سخريّة جميع أصدقائه في المكتب بسبب قِدمه وشكله " وقد أصبح شبيهاً الآن بقطعة قماش جبن سميكة، بليت لدرجة النعومة، وغدت شفافة تقريباً وتمزقت البطانة إلى عدة قطع..... كان معطف "أكاكي" النكتة الدائمة في المكتبة. فقد حرم من مكانة المعطف وأطلق عليه "روب" بدلاً من ذلك..... فبمرور السنين تقلصت الياقة شيئاً فشيئاً، لأن قماشها كان يستخدم لترقيع أجزاء أخرى من المعطف، وجعل من المعطف يبدو فضفاضاً وقبيحاً"[25]. فالمعطف الذي كان رمزاً للفقر والفقراء في هذه الفقرة يتحوّل إلى رمز للغنى والأغنياء عندما يقوم "أكاكي" بشراء واحد جديد وجميل، فالمعطف الذي كان بالأمس لا يُحسب على المعاطف ويُعامل بازدراء، أصبح الجديد ذا مكانة مرموقة، يحتلّ مكانته في المشجب بين المعاطف الأخرى، "كان للمعطف الجديد ميّزتان: أولهما أنه كان دافئاً، وثانيهما أنه جعله يشعر بأحسن حال.... وفي الردهة خلع معطفه، وفحصه جيداً من كل جانب، ثم سلّمه إلى البواب ليضعه في مكان مأمون"[26]. وهكذا يبدأ الكاتب بسرد حالة البطل الجديدة بعد أن اشترى معطفاً جديداً وأصبح محبوباً ومرئيّاً بعد أن كان منسياً. فقد عمد أحد الأكابر إلى التحضير لوليمة على شرف "أكاكي" الجديد. لقد كان الكاتب يحاول أن يُوصل رسالة إلى أن الغنى هو ما يجعل أحداً ما موجوداً بشكل فاعل ومرئي، وأن الفقر ما هو إلا عملية إلغاء ومسح لكينونة الذات. فالمعطف القديم والجديد ما هو إلا تصوير للعلاقة التنافريّة بين الفقر والغنى ورمزهما.

ومعطف قاسم توفيق يحمل نفس الرمزيّة عندما يصوّر الكاتب كيف أن البطل الفقير يتحوّل إلى ذات مرئية عندما يقوم باقتناء معطف أنيق، وأن المظهر الخارجي الجميل يدل على الغنى وبطاقة عبور إلى عالم الأغنياء والحصول على القبول الاجتماعي منهم من خلال معطفه، "طوال طريق العودة كنت أحلم بهيئتي الفاتنة وأنا أدخل بوابة الجامعة، وأرى نظرات الإعجاب"[27]. وفي مكان آخر تعبير يوافق تماماً ما كتبه "غوغول" عندما عدّ ميزات المعطف الجديد كونه يدفئ البطل ويشعره بشعور حسن، أما عبارة قاسم توفيق "كم أشعرني المعطف

[25]غوغول. المعطف، 20.
[26]غوغول. المعطف، 39.
[27]قوفيق. *لسان الروائي*، *54*.

بالدفء، كان دفئاً أنيقاً". وهنا يتشارك بطل توفيق مع بطل غوغول في المشاعر ذاتها، مع فارق في الأسلوب؛ إذ يقدم غوغول سرداً كلاسيكياً تفصيلياً، بينما يأتي سرد توفيق مكثفاً واختزاليّاً.

3.4. اللا انتماء أو الاغتراب

إحدى النقاط المشتركة بين القصتين هي التركيز على فكرة أن الاستغلال الطبقي، والفقر يؤدي بالفرد ليعيش حالة من الاغتراب النفسي الاجتماعي، ويشعر بأنه لا ينتمي إلى المحيط الذي يعيش فيه. وكيف لا، وهو يُعتبر منبوذاً لمجرد كونه فقيراً. وهو ما برع الكاتبان في تصويره عندما وصف قاسم توفيق كيف أن البطل يحاول جاهداً من خلال هذا المعطف أن يكون جزءاً من كل غني ومترف يتواجد معهم في نفس المحيط عندما يبدأ البطل بتخيّل كيف أن المحيط الاجتماعي في الجامعة فيها المساواة المطلقة حيث الكل سواسية ولا فرق بين ابن الغني وابن الفقير "قطعة من عمان ألغت فوارق الطبقات، وصنعت فسحة لطلابها القادمين من قاع المدينة، أو من القرى والبادية خلتهم مؤهلين للجلوس في قاعة المحاضرات لصقاً بابن أحد بشوات الأردن، أو ابن واحد من أغنيائها، وحتى لأن يتبادل كراسة محاضرات مع ابن وزير، أو من هو أعلى شأناً"[28].

وهو الشيء نفسه الذي قام به "غوغول"، لكن عكس قاسم توفيق الذي كانت لديه محاولة في الشعور بالانتماء، ف"غوغول" هنا لم يقم برسم محاولة البطل اليائسة بالاندماج بالمجتمع بل صوّر كيف أن "أكاكي" شخص منزوٍ وغير اجتماعي، يذهب إلى عمله ومنه إلى بيته دون أن يخرج من بيته. "عندما يتفرّق جميع الموظفين المدنيين إلى شقق أصدقائهم الصغيرة للعبة ورق ورشف الشاي من الأكواب وتناول قليل من البسكويت وتدخين غلاينهم الطويلة وأثناء التوزيع الورقي يقومون برواية تفاصيل أخرى؛ وعندما لا يجدون الجديد للتحدّث فيه، فإنهم يعيدون النوادر القديمة حول القائد الذي قيل له بأن زي الحصان تمثال بطرس الأكبر لفلوكونيه قطع؛ باختصار فعندما يبذل كل امرئ جهده ليتسلى فإن "أكاكي أكاكيفيتش" لم يتخل عن نفسه إلى أي من هذه التسليات. لا يستطيع أحد أن يتذكر أنه شاهده في حفلة. فبعد أن يكتفي ويبلغ مداه من النسخ يخلد إلى المنام. مبتسماً في انتظار اليوم التالي. وهكذا مضت الحياة غير الحافلة لرجل قانع تماماً بروبلاته الأربعمائة في العام"[29]. فالبطل هنا منسلخ عن المجتمع والناس لدرجة لا أحد يلاحظ وجوده من عدمه وهو أكبر مثال على الاغتراب الاجتماعي الذي يعانيه ويعيشه أبناء الطبقة الفقيرة.

4.4. نقد النظام السياسي

إن نقد النظام السياسيّ القمعيّ ليس بالأمر السهل في الأدب، فالقمعيّ ليس قمعيّاً فقط في إطار العمل السياسي؛ بل يمارس قمعه على أي شيء يمكن أن يهدد وجوده وكينونته، وبما أن الأدب الواقعي هو مرآة تعكس هموم المجتمع ومساوئ السلطة؛ فقد كان في واجهة العناصر المهددة للأمن السياسي، لذا كان واجباً على القمعيّ أن يحاربه. هنا عمد الأدباء إلى أسلوب الرمز أو الأسلوب غير المباشر في نقد هذه الأنظمة، وهو ما قام به الكاتبان في قصتيهما.

فالكاتب "غوغول" عندما يريد أن ينقد السلطة يقوم بعمل مقارنة بين الموظف الصغير الفقير وبين الموظف الكبير الغني، والغني هنا بالضرورة من يستفيد من فردانية النظام الحاكم. فنراه يقول في إحدى المواضع: "ولسوء الحظ فإن المؤلف لا يستطيع القول أين يقطن

[28] توفيق. *لسان الروائي*، 54.

[29] غوغول. المعطف، 18.

ذاك الموظف المدني الذي سيقيم حفلته، فذاكرته بدأت تخونه قليلاً، ومع ذلك فنحن نعلم على الأقل وبالتأكيد بأن هذا الموظف المدني كان يعيش في أفضل جزء من المدينة، أي ما يصل إلى القول بأنه كان يسكن على مبعدة أميال وأميال من مسكن أكاكي"، هنا نلاحظ أن الكاتب يحاول أن يصور لنا بأن هذا الموظف ذو الرتب العالية يسكن في حي الأغنياء، والذي هو بطبيعة الحال بعيد ومختلف عن حي الفقراء. ليعود ويصور لنا ذلك الحي الغني، " في البداية كان على أكاكي أن يمر بشوارع مهجورة ضعيفة الإضاءة، ولكن كلما اقترب من شقة الموظف المدني كلما زادت الشوارع حيوية واكتظاظاً، وأصبحت المصابيح أقوى إضاءة. بدأ المزيد من الناس يتسارعون، وبدأ يصادف سيدات جميلات الملبس ورجالاً بياقات من فرو القندس. وهنا لا تجد عربات الأجرة الرخيصة ذات الزلاجات المصنوعة من السلال الخشبية، بدلاً من ذلك هناك سائقوا العربات المسرعون ذوو القبضات الأنيقة"[30]. هنا يقوم الكاتب بعمل مقارنة تفصيلية بين حي الفقراء والأغنياء مما يعطينا فكرة عن الطبقية التي يعيشها المجتمع الروسي في ظل النظام السياسي القمعي.

وفي موضع آخر يعود "غوغول" ليُصوّر لنا آلية عمل النظام القمعي البيرقراطي، هذا النظام الذي يتعامل بتكاسل وتماطل مع الطبقة الفقيرة ومطالبها، حتى يصل الأمر بالمواطن إلى اليأس من الحصول على مطلبه ويتحوّل عن مؤسسات الدولة ليصيبه حالة من القنوط تجاه الحياة ككل، كيف لا وإذا كانت الدولة ومؤسساتها التي أكبر وأهم مسؤولياتها حماية المواطن وإشعاره بالأمان قد تخلت عنه وتركته يواجه مصيره وحيداً " ماذا تعني بهذا يا سيدي؟ قال بطريقة لا تخلو من اللذاعة: ألست على علم بالإجراءات الصحيحة؟ أين تظن نفسك؟ ألا تعلم سير الأمور هنا؟ آن الآوان لأن تعرف أولاً بأن طلبك يجب أن يقدم في المكتب الرئيسي، ثم يوصل إلى كبير الكتيبة، ثم إلى مدير الإدارة، ثم إلى سكرتير مكتبي، الذي سيقوم بتقديمه إليه للنظر فيه"[31]. الروتين والبيرقراطية واضحة في النص، والأدهى والأمرّ من كل هذا هو أن السادة يستمتعون بهذه السادية السلطويّة وليس لديهم أدنى شعور بالمسؤولية أو حس للتعاطف مع المغدورين. ليعود "غوغول" ويصور الحالة النفسية للبطل الذي يئس ولم يعد له ذرّة أمل بعد أن واجه عاصفة التوبيخ تلك من المسؤول الكبير، " وفي طرفة عين كانت حنجرته تلتهب وعندما جرجر نفسه أخيراً إلى المنزل لم يكن قادراً على النطق بكلمة واحدة، انقلب بنفسه على الفراش وكل جزء من أجزاء جسمه بدأ يتورّم، هذا ما يمكن أن يصنعه التوبيخ اللازم واللائق بك أحيانًا"[32]. بإمكان القول بأن المرارة والسخرية قد اختُزلت في آخر جملة أي هذا ما يمكن أن يحدث لذاتك وكينونتك عندما تكون محتاجًا لسلطة جائرة وتكون بلا حول ولا قوة تجعلك قويّاً ومتحكّماً قادراً على أخذ حقك ولو بالقوة.

في قصة قاسم توفيق، فإنه يمكن ملاحظة عملية نقد النظام السياسي بشكل مبطّن جداً، ويمكن القول بأن "غوغول" كان أكثر جرأة في عملية النقد؛ وربما يعود سبب ذلك إلى حرية التعبير التي كانت تسود البيئتين، ومن الواضح أن بيئة قاسم توفيق أكثر حزماً وبطشاً في مواجهة أي نقد علني أو حتى مبطن لأنظمتها السياسية. وربما يعود السبب أيضاً في هيكلة النص عند الكاتبين، ف"غوغول" يمثّل الأدب الكلاسيكي الذي يعتمد على السرد المفصل للتفاصيل، وأيضاً واقعيته المفرطة التي تصوّر كل شيء كما هو دون تحريف أو ترميز. وهو أمر لا نجده عند قاسم توفيق الذي يعتمد على الأدب الما بعد الحداثي، والذي يعتمد على التكثيف، واستخدام القصة القصيرة جداً. وهو عنصر سيتم التطرق إليه في قسم الاختلافات.

[30] غوغول. المعطف، 41.

[31] غوغول. المعطف، 55.

[32] غوغول. المعطف، 57.

لذا فإن البحث عن النقد السياسي في قصة قاسم توفيق يعتمد على البحث في الكلمات التي اختارها الكاتب وفك شيفرتها الرمزيّة مثل "فوارق الطبقات، الطلاب القادمون من قاع المدينة، عمان الفقراء، الفقراء ومدفأة الكاز الرخيصة"، وغيرها الكثير من العبارات الأخرى. ولعل أبرز مثال على النقد يتمثّل في هذه الفقرة: " وجبة الطعام مكونة من رغيف خبز محشو بحبات الفلافل، أو شريحة جبن لم تكن تحمل أي علامة تجارية تميزها، أو تقر بتاريخ انتهاء صلاحيتها للأكل.... لا تعرف من واقع تجاربك الغذائية، مذ جئت إلى العالم أن للجبن أنواعاً كثيرة. لم تكن لتملك الحق لطهر نفسك، في أن تشك بمتعهد الكافتيريا بأنه يغش بضاعته، رد الجامعة الأردنية كان أشد قسوة من رغيف الجبن الفاسد"[33]. إن إدارة الجامعة هي جزء من السلطة الحاكمة، أو هي السلطة الحاكمة نفسها ضمن إطار صلاحيتها، أي هي صورة مصغّرة عن السلطة الأعلى التي يقوم الكاتب بنقدها ووصف مدى عنجهيتها وقمعها إن تجرّأ أحدهم على فتح فمه وقام بالاعتراض أو النقد. ولأن الكاتب يعتمد على الرمزيّة كثيراً في كتاباته، فبالإمكان القول إن "الجامعة" ما هي إلا السلطة الحاكمة، قام الكاتب بنقدها بشكل مبطّن ورمزيّ.

5.4. سوسيولوجيّة اللغة

في النقد الماركسي الأدب أداة لخدمة المجتمع، والمقصود بخدمة المجتمع هو إحداث تغييرات ملموسة وجوهريّة مرجوّة في بنية المجتمع. واستخدام اللغة بالنسبة لهذا التيار هو فعل جمعيّ[34]، أي أنها أكثر من كونها مجرد فعل فردي، بل هي نظام اجتماعي تنشأ وتتم المحافظة عليها عبر التفاعل بين الأفراد داخل جماعة ما.، وأدباء التيار الماركسي مدركون تماماً لحقيقة أن اللغة بالإضافة إلى كونها تؤثّر في الإنسان بفرديته، إلا أنها في نفس الوقت وسيلة للتأثير في الآخر، أي المجتمع[35]، بناءاً على ذلك، تُعتبر اللغة وسيلة للتأثّر والتّأثير بحسب النقد الماركسي. ومن هذا المنطلق عمد أدباء التيار الماركسي إلى توظيف لغتهم للثورة على اللا مساواة والقمع السياسي، والبيروقراطيّة الشائعة سواء أكانت في الدول العربية أو في روسيا.

ويمكن ملاحظة الجانب السوسيولوجي للغة "غوغول" في قصته المعطف في كثير من المواقع. لنرى كيف أنه يصوّر ببراعة حال النظام السياسي الفاسد في دولته بأسلوب متهكّم، والغاية طبعاً هو تصوير الواقع وبالتالي إثارة انتباه الشعب إلى هذا الواقع، ومن ثم الثورة عليه. " وفي الصباح الباكر توجه إلى بيت المفتش، لكنهم أخبروه بأنه لم يصحُ من نومه بعد، فعاد في الساعة 10:00 فقالوا له إنه لا يزال نائماً. فعاد في الساعة 11:00 فأعلموه بأنه قد خرج من البيت. وعندما عاد مرة أخرى حوالي وقت الغداء، لم يسمح له الكتيبة في صلة المدخل بالدخول في أي حال ما لم يخبرهم ما هو شأنه ولماذا جاء وماذا حصل"[36]. ففي هذه الفقرة نجد النظام البيروقراطي المهيمن على مفاصل الدولة، وكيف أنه لكي تشتكي مظلمة ما عليك أن تنتظر وتنظر إلى ما لا نهاية. وهو إهانة لكرامة المواطن، لفردٍ في مجتمع يُنتظر من حاكمه أن يعامله باحترام؛ ففي النهاية هو في السلطة لخدمة الشعب وليس العكس لسلب الشعب حقوقه وكرامته.

وقد عمد قاسم توفيق إلى استخدام اللغة كحالة سوسيولوجية في أغلب أعماله التي تمّ الاطلاع عليها، وقصة المعطف للكاتب إحدى النماذج التي يمكن القول بأنه قد تمّ استخدام هذه اللغة فيها بشكل واضح؛ ففكرة القصة أو هيكلها الأساسي يقوم بالأساس على قضيّة اجتماعية بامتياز وهي الفقر، والطبقيّة، واللا عدل. وبطل القصة الذي لم ينل شرف أن يكون له اسم، كان مجهولاً يرمز للكثير من

[33] توفيق. لسان الرواي، 55.

[34] Thom Holtgraver. *Sosyal Eylem Olarak Dil*, çev, Gklem Tekdemir, (Ankara, Nobel Akademik Yayıncılık, 2019), 7.

[35] Holtgraver. *Sosyal Eylem Olarak Dil*, 2.

[36] غوغول. المعطف، 47.

أبناء مجتمعه الذين يعانون ما يعانيه هو، إنه صوت الكلِّ المكتوم المكموم، ولعلّ هذا هو السبب في أنه لم يُمنح اسماً، كي يخرج من كونه حالة فرديّة إلى رمز لجميع من يعاني من الفقر.

5. أوجه الاختلاف بين القصتين

على الرغم من علاقة الأدب الوثيقة بالمسائل الاجتماعية، إلا أنه تعويض غير مباشر عن خبرات محدودة ، ووسيلة يجد فيها الفقراء بعضاً من السلوى في ظل ظروف حياتهم القاسية، كما عبّر الناقد إيغلتون "إذا لم نلق للجماهير بضع روايات، فسوف ترد بأن تلقى في وجوهنا بضعة متارس[37]". فمهما كانت غاية الأدب توعوية، وتمتلك روحاً ثوريّةً تعمل على تغيير الواقع الاجتماعي، إلا أنه يظل وسيلة للتنفيس عن المشاعر الفردية التي تعتري الكتّاب، أو عبارة عن أفكار محكوم عليها بالتغيّر تبعاً لتغير نضج الكاتب، ووجهة نظره إلى الحياة بشكل عام، لذا كان شائعاً جداً ومحكوماً على الأعمال الفنية – الأدبية أن تكون مختلفة إحداهنّ عن الأخرى. ومن أبرز أوجه الاختلاف بين القصتين:

1.5. أدوار الأبطال

بالرغم من أن البطلين ينتميان إلى الطبقة الفقيرة، وغير مكتفيان مادياً بل يعيشان على الفُتات وعلى هامش الحياة، لكن "غوغول" عمِل على جعل البطل مطحوناً تحت آلة الفقر مع أنه موظف في الدولة، إلا أنه موظف يعمل ليلاً نهاراً كي يكون سيده غنيّاً. فنرى كيف أن "أكاكي" يقوم بادخار مصروفه لسنة كاملة، ويقوم "غوغول" بتصوير تلك الحالة بمنتهى واقعية ممزوجة بالسخريّة المبطّنة "فكر أكاكي ملياً، وقرر أخيراً بأنه لا بد أن يخفض من مصروفه اليومي، لمدة سنة على الأقل. ينبغي عليه أن يتوقف عن شرب الشاي في المساء، أن يعيش بدون شمعة؛ وإن كان عليه أن يقوم بنسخ شيء، فليذهب إلى مالكة الدار ويعمل هناك. وكان عليه أن يطأ الأرض بخفة كلما أمكن ذلك فوق بلاط الطريق .كأن يمشي على أطراف أصابعه . ليوفر نعلي حذائه وأن يتجنب أخذ غسيله إلى الغسالة كلما أمكن ذلك، وأن يجعل ملابسه الداخلية تدوم فترة أطول...."[38]. إن قيام شخص ما بحرمان نفسه من شرب الشاي في الليل، والذي بالنسبة لفقير مثل بطل القصة يُعتبر ترفاً، لأكبر تراجيديا كوميديّة نجح "غوغول" بتصويرها بكل براعة. إن هذه الحالة أكبر مثال على قسوة الفقر واللا عدل الاجتماعي.

أمّا قاسم توفيق، فقد كان بطلُ قصته طالباً من الطبقة الفقيرة الكادحة، الطبقة التي تتمزق وتقدم الكثير من التضحيات، الطبقة التي كي تحصل على حاجة أساسية عليها أن تتخلى عن أشياء أخرى كي يكون بإمكانها اقتناء ما تحتاج إليه، " ولأني أعرف أن البرد في عمان الفقراء لا يردعه سوى الملابس الثقيلة..... نقدتني أمي دينارين، مبلغ عظيم ادّخرته بعناء، رسمت لي الخريطة للوصول إلى شارع الطلياني سوق الملابس العتيقة.... وأوصتني أن أشتري معطفًا يكون ثقيلاً حتى يدفع عن جسدي برد الجامعة لسنوات الدراسة التي سوف أقضيها فيها"[39]. فالبطل كي يستطيع الحصول على المعطف والذي ثمنه بضعة دنانير، مبلغ ضخم، كي يحصل عليه تقوم أمه بادخار النقود على مرّ شهور عديدة كي تكسب ثمن المعطف لابنها بطل القصة. وفي النهاية يتمكن من شراء معطف "مستعمل"، أي أن الادخار الطويل لا يؤدي لشراء معطف جديد، بل جلّ ما تمكن من شراءه هو معطف قديم.

[37] إيغلتون، نظرية النقد، 40.

[38] غوغول، المعطف، 33.

[39] توفيق. لسان الراوي، 55.

وعند البحث في شخصيّة الأبطال وميّزاتهم الخارجيّة والروحيّة، نرى أن بطل "غوغول" أكبر سنّاً، وأكثر بشاعة، والأهم أشدّ بؤساً. كما أنه يعيش حالة من اللا أمل، ويعمل كآلة لا تشعر أو تحلم أو تفكّر، ولربما "غوغول" هنا يحاول أن يختزل صورة روسيا في ذاك الوقت وفقرائها في شخصيّة "أكاكي" الذي كان الأمس بالنسبة له مثل اليوم، وسيكون الغد مثل اليوم. في حين أن بطل قاسم توفيق أكثر شباباً، وجمالاً، والأهم أكثر أملاً بواقع أفضل وغد أجمل. فهو مقبل على الغد بحماس واندفاع، يأمل بأن يكون غده أجمل من أمسه الذي عاشه في الفقر بعد أن يدرس في الجامعة، أي أنه صاحب حلم، وكلّ من يحلم هو على قيد الحياة بالضرورة. ومتى ما بُتت الأحلام وماتت؛ عندها يموت الإنسان أيضاً. إن الاختلاف النقاط المشتركة وإن كانت كثيرة بين شخصية البطلين، إلا أنه يمكن ملاحظة الاختلاف في التفاصيل والجزئيات، وهذه الاختلافات مهمة وضروريّة ليكون لكل نص روحه الخاصة به. ولعلّ أبرز الاختلافات هي أنّ "أكاكي" يموت بسبب الظلم، ويعود كشبح منتقم، أي أنّ هناك تحوّل إلى قوة خارقة (ولو رمزية)، أمّا بطل توفيق فينتهي به المطاف بمعطف مستعمل، وربما يستمر في حياته بائسة. لا أمل، لا ثأر، لا تحول .هو استمرارية للوضع القائم .هذا الاختلاف في النهاية يعكس رؤيتين مختلفتين جداً لاحتمالية التغيير أو الثورة.

2.5 الأسلوب

إن ما يميّز أي عمل أدبي، والأدب المقارن على وجه الخصوص هو الأسلوب الذي كُتب فيه النص الأدبي. ولأن الأسلوب هو الذي يُحدّد إلى أيّ تيار أدبيّ ينتمي النص، أو العكس، التيار الأدبيّ الذي يتبنّاه الكاتب يفرض عليه بشكل آليّ أسلوباً معيّناً في الكتابة، كل هذه العوامل أسهمت في تعدد التيارات الأدبية وإنتاجاتها. وقد كانت الواقعيّة في روسيا وليدة حاجة اجتماعية وسياسية؛ لذا بالإمكان القول بأن أغلب أُدباء الروس قد فُرض عليهم هذه الواقعيّة في كتاباتهم بما يتماشى مع الحاجة العامة للشعب. ولأن الواقع الاجتماعيّ والسياسيّ الديكتاتوريّ يظل هو نفسه بغض النظر عن الجغرافيا؛ فقد امتد هذا التيار إلى العالم العربي وتأثر به أدباء العرب ولا زالوا.

وعند البحث في قصة الكاتب الروسي "غوغول" يُلاحظ أنّ القصة تُلقي الضوء على البيروقراطيّة الروسيّة واللا عدل الاجتماعي، إلا أنها تتّسم أيضاً بالواقعيّة الساخرة الممزوجة بالعناصر الخياليّة – الفنتازيا، مما يُعطي بُعداً رمزيّاً، وحالة وعي فلسفي لما يحاول الكاتب إيصاله للقارئ. ليخرج النص من كونه نصّاً مكتوب لأجل تحريك روح الشعب الروسيّ وحثّه على الثورة، إلى كونه نصًا عالميّاً صالحاً للاستخدام في كل زمان ومكان ما دام الظلم، واللا مساواة، والفساد السياسي مستمراً.

ولأن نصّ "غوغول" جمعيّ فقد وجد صداً له في العالم العربي، ليكون كتابة نص يحمل نفس الاسم، مصادفة ، أو بسبب تعشّشه في اللا شعور الجمعي، من نصيب الكاتب قاسم توفيق. ولأن اللغة ذات بُعد اجتماعي فإنه من الطبيعي أن تكون متشابهة لدى معظم البشر. إلا أنها تتغير تبعا لاختلاف الذاكرة اللغوية من مجتمع لآخر. لكن حقيقة أن اللغة يمكن أن تُعبّر عن أشياء أكثر مما يقصدها وينطق بها الإنسان[40]، ولعلّ هذه الحقيقة كانت سبباً في استخدام قاسم توفيق أسلوباً يعتمد على التكثيف، والاختزال والترميز. وتُعتبر هذه الخصائص من أبرز العلامات الفارقة التي تميّز نص توفيق عن نص "غوغول". فنص "غوغول" الذي يتجاوز الستين صفحة ويعتمد على الواقعيّة الكلاسيكيّة ويقوم بوصف أدق التفاصيل، هذا النص يختلف عن نص توفيق القصير جداً في أقل من صفحتين بما يتماشى مع الواقعيّة الما بعد الحداثيّة. وهو أمر يضطر إليه كاتب ما بعد الحداثة بسبب النزعة الاستهلاكية لدى إنسان هذا العصر، وسرعة القراءة، لذا يُفضّلون النصوص القصيرة المركّزة، وطبعًا هذا موضوع آخر شائك ومهم يتطلّب البحث إلا أنه ليس في سياق ما نحن بصدد الكتابة عنه.

وإذا ما تمّت جدولة أوجه الشبه والاختلاف بين القصتين فإنها ستكون على الشكل التالي:

[40] Holtgraver. *Sosyal Eylem Olarak Dil,21* .

محور القصة	قاسم توفيق	غوغول
البطل	بطل قاسم توفيق طالب جامعي شاب فقير إلا أنه في أوج عنفوانه وحماسه، كما أنه مفعم بالأمل.	بطل "غوغول" موظف فقير يتعرض للاضطهاد والطحن تحت آلة البيروقراطيّة، كما أنه كبير في العمر يائس وبائس، لا يحمل أيّة ذرة من الأمل بغد أفضل.
موضوع النص	الفقر، والطبقيّة، واللا عدل، بالإضافة إلى القمع السياسي الاجتماعي، والأمل.	الظلم الاجتماعي، والفقر، واللا مساواة بالإضافة إلى التشاؤميّة
رمزيّة المعطف	رمز للانتماء، والواقع الاجتماعي القاسي، والتفاوت الطبقي.	رمز للكرامة المسلوبة، والفقر، والقهر والذل، بالإضافة إلى كونه رمزاً للأمان المفقود.
النزعة الأدبيّة - الأسلوب	امتداد للأدب الواقعي الروسيّ، بالإضافة إلى استخدام الكاتب للرمزيّة والتكثيف والاختزال.	بدأت مع "غوغول" ظهور بوادر المدرسة الواقعية الروسيّة، ومن ثم ظهور ما يُعرف بالنقد الماركسي، مع اعتماد الكاتب على العناصر الخيالية -الفنتازيا، إضافة إلى الأسلوب الساخر اللاذع
سوسيولوجيّة اللغة	في قصة الكاتب عناصر اجتماعية اعتمد عليها في هيكلة نصه، أي استخدام لغة اجتماعية، حيث يتناول موضوعاً اجتماعياً بحتاً. مع ظهور واضح للعنصر الرمزيّ	لغة "غوغول" أيضاً لغة اجتماعيّة لأنه يعتمد على المجتمع ومشاكله كمادة أساسيّه في نصه، بالإضافة إلى التهكّم واستخدام السخريّة لنقد الواقع الاجتماعي.
البُعد الاجتماعي والسياسي	نقد للواقع العربي، الأردني بشكل خاص، من الناحية الاجتماعية والسياسية.	يُسلط النص الضوء على الظلم الطبقي، ونقد البيروقراطيّة وتحكم طبقة النخبة في جميع مفاصل الدولة، واغترابهم وانسلاخهم عن الشعب والعيش على كدحه وقهره.

الخاتمة

إن النقد الماركسي للأعمال الأدبيّة يتجاوز في كونه تحليلاً للنص من خلال السرد والأحداث فقط، ويقوم بالتحليل عن عمق النص باحثاً عن المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها مجتمع، وهو من أفضل وأكثر جوانب هذا التيار قوة وفاعليّة. ولأن النزعة الواقعيّة هي مرآة تقوم بعكس كل ما يعيشه مجتمع ما، لذا كانت هذه النزعة هي أرض النقد الماركسي الخصبة كي يحمل فيها معاوله ويقوم بعملية الحفر والبحث في بُنية النص. ولأن لغة البشر واحدةٌ في جوهرها وإن اختلفت طرائق التعبير، فقد أصبحت مقارنةُ الأعمال الأدبيّة بين مجتمعين ظاهرةً شائعة فيما يُعرف بالأدب المقارن، وهو الحقل الذي اعتمد عليه هذا البحث في تحليل ومقارنة نصّين ينتميان إلى زمنين وبيئتين مختلفتين. ولعل من أبرز فوائد الأدب المقارن هي منح فرصة البحث عن النقاط المشتركة بين البشر جميعًا من خلال الفن والوصول إلى حقيقة أن الإنسان يظل على عجينته التي عُجن بها مهما اختلفت الجغرافيا، أو الثقافة، أو الزمن. وهو ما تمّ القيام به في هذا البحث

ومن خلال هذا البحث تبيّن أن الكاتب الروسي "غوغول" والكاتب الأردني قاسم توفيق قد نجحا في عكس البنية الاجتماعية لمجتمعهما بأسلوب واقعي، وإن كان الكاتبان قد لجأ أحياناً إلى الفنتازيا والرمزية. فحقيقة أن "أكاكي" ومعطفه لم يكونا ظاهرة فرديّة بقدر ما كان واجهة لعرض كل ما كان يعيشه الشعب الروسي من طبقيّة وبيروقراطيّة، ليكون "أكاكي" نموذجاً لما أنتجه النظام الروسي الحاكم؛ هذا النظام الذي يعامل الطبقة الفقيرة والوسطى على أنها مجرد آلة خالية من الحياة والأمل، لا تملك ذرة من الكرامة والحقوق، هذه الحقيقة هي رسالة من الكاتب الواقعي إلى مجتمعه والمجتمعات الأخرى بأن الظلم والطبقيّة أسلوب قمع عالمي لا يعرف الجغرافية ولا الثقافات. والأمر نفسه ينطبق على بطل قاسم توفيق الذي كان يافعاً مفعماً بالأمل، ومندفعاً مقبلاً على حياة هو نفسه يدري أنها صعبة وفيها من التمييز الطبقي الكثير، إلا أنه يتسلح بإيمانه بأنه قادر على إفساح مكانة له في مجتمع يحكمه قانون "الحوت يأكل السمكة الأصغر منه". إن المعطف هو صراع بين الحق والباطل، بين الظلم والعدل. رمز للكرامة الإنسانيّة المهدورة في عالم يحكمه حفنة جشعة، وأيضاً دعوة للثورة على الواقع والمطالبة بالعدالة الاجتماعية أملاً بغد أفضل للجميع. وقد قام الكاتبن بعكس كل تلك العناصر في قصتيهما على أكمل وجه وبأجمل وأقوى طريقة في التعبير.

المصادر

المصادر العربية

إسكاربيت، روبير إسكاربيت. *سوسيولوجيا الأدب*، تر. آمال أنطوان عرموني، بيروت: منشورات عويدات، 1999.

إنغلتون، تيري إنغلتون. *مقدمة في نظرية الأدب*، تر. أحمد حسان، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1991.

توفيق، قاسم توفيق. *لسان الروايي*، عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2023.

الحاوي، إيليا الحاوي. *في النقد والأدب*، بيروت: دار الكتاب، 1979.

الحسين، قصي الحسين. *سوسيولوجيّة الأدب، دراسة الواقعية الأدبية على ضوء علم الاجتماع*، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1993.

خفاجي، عبد المنعم خفاجي. *مدارس النقد الأدبي الحديث*، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1990.

ستولنيتز، جيروم ستولنيتز. *النقد الفني، دارسة جمالية*، تر. فؤاد زكريا، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2007.

عباس، ونارو، ياسمين عباس، وسارة قادي نارو. *المنهج الإجتماعي عند صلاح فضل*، الجزائر: جامعة البويرة، رسالة ماجستير منشورة، 2022.

عبد العليم، مصطفى فاروق عبد العليم. *محاضرات في الأدب المقارن*، بني سويف: كلية الدراسات الإسلامية والعربية، 2009.

غطاشة، داوود غطاشة. قضايا النقد العربي، قديمها وحديثها، عمان: الأردن الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، 2000.

غوغول، نيكولاي غوغول. *المعطف والأنف*، تر. محمد الخزاعي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2013.

فرح، محمد سعيد فرح. *علم اجتماع الأدب*، الأردن: دار المسيرة للتوزيع والطباعة، 2009.

فضل، صلاح فضل. *مناهج النقد المعاصر*، القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، 2002.

قصاب، وليد قصاب. *مناهج النقد الأدبي الحديث*، دمشق: دار الفكر العربي، 2007.

كافي، مراد كافي. *النموذج التكويري في روايات قاسم توفيق*، وان: جامعة يوزونجييل، رسالة دكتوراه، 2021.

موافي، عثمان موافي. *مناهج النقد الأدبي والدارسات الأدبية*، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008.

موسى، سلامة موسى. في الحياة والأدب، القاهرة: مؤسسة الهنداوي، 1930.

نور الهدى، حلاب نور الهدى." المنهج الاجتماعي في النقد– نشأته وخصائصه" ، *مجلة مركز دراسات الكوفة*، الجزائر: جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، 35/1 ,2015, 257–280.

هويدي، صالح هويدي. *النقد الأدبي الحديث، قضاياه ومناهجه*، ليبيا: منشوارت جامعة السابع من أبريل، 2005.

ويلك، رينيه ويلك. *نظرية الأدب*، تر محي الدين صبحي، بيروت: المؤسسة العربية للدارسة والنشر، 1948.

المصادر الأجنبية

Thom Holtgraver. *Sosyal Eylem Olarak Dil*, çev, Göklem Tekdemir, Ankara, Nobel Akademik Yayıncılık, 2019.

Mehmet Şirin Çıkar- Murad Kâfi, "Kasım Tevfik'in Palto Adlı Kısa Öyküsünde Toplumsal Gerçekçilik", *Sosyal Araştırmalar Dergisi* 4/3 (2018), 374-378.

Menteşe, Merve. "Karşılaştırmalı Edebiyat Örneği Olarak Hayali Bey ile Nedim'in Birer Gazali Üzerine İnceleme". *Akademik Sosyal Araştırmalar Dergisi* 1/10 (2020), 287-306.

Kaynakça

Abbâs - Nârû, Yasmin Abbâs - Sâra Kâdî Nârû. *el-Menhacu'l-İctimâʿî ʿinde Salah Fadl*. Cezayir: Câmiʿat el-Buveyrâ, Risaletu Macester Menşure, 2022.

Abdülalîm, Mustafa Fârûk Abdülalîm. *Muhâdarât fi'l-Edebi'l-Mukâren*. Beni Süveyf: Külliyyetü'd-Dirâsât el-İslâmiyye ve'l-ʿArabiyye, 2009.

Çıkar, Mehmet Şirin – Kafi, Murad. "Kasım Tevfik'in Palto Adlı Kısa Öyküsünde Toplumsal Gerçekçilik". *Sosyal Araştırmalar Dergisi* 4/3 (2018), 374-378.

Eagleton, Terry Eagleton. *Mukaddime fi Nazariati'l-Edebi*. çvr. Ahmed Hassan, Kahira: el-Hayya'l-Âmme Likusuri's-Sekafe, 1991.

el-Havi, İliya'l-Havi. *Fi'n-Nakıd ve'l-Edeb*. Beyrut: Daru'l-Kitab, 1979.

el-Hussain, Kusayi el-Hussain. *Sosyolojyetu'l-Edeb, Dirasatu'l-Vaki'âti'l-Edebiyye Ala Devailm el-İjtimaa*. Beyrut: el-Müessesetü'l-Câmiiyye li'd-Dirâsât ve'n-Neşr, 1993.

Fadıl, Salah Fadıl. *Menâhicu'n-Nakdi'l-Muʿâsır*. Kahire: Mîrit, 2002.

Ferah, Muhammed Saîd Ferah. *ʿİlmu İctimâʿi'l-Edeb*. Amman: Dârü'l-Mesîra, 2009.

Gataşa, Dâvûd Gataşa. *Kadayâ'n-Nakdi'l-Arabî Kadîmuhâ ve Hadîsuhâ*. Amman: ed-Dârü'l-İlmiyye'd-Devliyye, 2000.

Gogol, Nikûlây Gogol. *el-Meʿtâf ve'l-Enf*. çev. Muhammed el-Huzâʿî. Beyrut: el-Müessesetü'l-ʿArabiyye li'd-Dirâse ve'n-Neşr, 2013.

Hafâcî, Abdülmün‘im. *Medarisu’n-Nakdi’l-Edebi’l-Hadise.* Kahire: ed-Dârü’l-Mısriyye el-Lübnaniyye, 1990.

Holtgraves, Thomas. *Sosyal Eylem Olarak Dil*. çev. Göklem Tekdemir. Ankara: Nobel Akademik Yayıncılık, 2019.

Huveydî, Sâlih Huveydî. *en-Nakdu’l-Edebî’l-Hadîs Kadâyâhu ve Menâhijuhu*. Tarablüs: Menşûrâtu Câmiʿatu’s-Sâbiʿ min Abrîl, 2005.

İskarbit, Rubir İskarbit. *Sosyoljia’l-Edeba*. çvr. Amal Antuan Ermuni, Beyrût: Menşurat Uyidet, 1999.

Kafi, Murad Kafi. *en-Nemûzecu’z-Zükûrî fî Rivâyâti Kâsım Tavfîk*. Van: Yüzüncü Yıl Üniversitesi, Doktora Tezi, 2021.

Kassab, Velid Kassab. Kassâb, Velîd Kassâb. *Menâhicu’n-Nakdi’l-Edebî’l-Hadîs*. Dimaşk/Şam: Dârü’l-Fikr’il-ʿArabî, 2007.

Menteşe, Merve. “Karşılaştırmalı Edebiyat Örneği Olarak Hayali Bey ile Nedim’in Birer Gazali Üzerine İnceleme”. *Akademik Sosyal Araştırmalar Dergisi* 110 (2020), 287-306.

Mûsâ, Selâme Mûsâ. *Fî’l-Hayât ve’l-Edeb*. Kahire: Müessesetü’l-Hindâvî, 1930.

Muvâfî, Osman Muvâfî. *Menâhicu’n-Nakdi’l-Edebî ve’d-Dirâsâti’l-Edebiyye*. İskenderiye: Dârü’l-Maʿrifeti’l-Câmiiyye, 2008.

Nûru’l-Hudâ, Halleb Nûru’l-Hüdâ. “el-Menhecu’l-İctimâʿî fi’n-Nakd: Neş’etuhû ve Hasâisuhû”. *Mecelletu Markezi Dirâsât’l-Kûfe* 1/35 (2015), 257- 280.

Stolnitz, Jerome Stolnitz. *en-Nakdu’l-Fennî: Dirâse Cemâliyye*. çev. Fuâd Zekeriyyâ, İskenderiye: Dârü’l-Vefâ, 2007.

Tevfik, Kasım Tevfik. *el-Mi’taf*. Amman: en-Naşirun ve’l-Muvazzeun, 2023.

Wîlik, Rîniye Wîlik. *Nazariyyetu’l-Edeb*. çvr. Muhyiddîn Subhî. Beyrut: el-Müessesetü’l-ʿArabiyye li’d-Dirâse ve’n-Neşr, 1948.